مقياس أخلاقيات المهنة ومحاربة الفساد

الدرس الأول

المحور الأول: أخلاقيات المهنة

إن للأخلاق أهمية بالغة لما لها من تأثير كبير في حياة الأفراد والجماعات والأمم، ولهذا فقد حفل القرآن الكريم بها واعتنى بها أيما عناية، فقد بينت سور القرآن الكريم وآياته أسس الأخلاق ومكارمها، وكذلك اعتنت السنة النبوية بالأخلاق والمعاملات عناية فاقت كل التصورات، فقد عد بعض العادين - فيما وقع لهم -أحاديث رسول الله ﷺ فوجدوها ستين ألف حديث عشرون منها في العقائد، وأربعون في الأخلاق والمعاملات وهذا بلا شك دليل على عناية السنة بالأخلاق كعناية القرآن الكريم بها. فقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ(4) ﴾(القلم:4)يمتدح الله تعالى نبيه بحسن الخلق تارة، و يأمره بمكارم الأخلاق و محاسنها تارة أخرى ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجاهِلِينَ(199)﴾(الأعراف199)

1-أهمية الأخلاقيات

1. للأخلاق أهمية بالغة باعتبارها من أفضل العلوم وأشرفها وأعلاها قدرا، لذلك نجد بعض العلماء عندما يتحدث عن بيان قيمة علم الأخلاق بالنسبة إلى العلوم الأخرى يقول بعضهم: إنه إكليل العلوم جميعا، ومنهم من يقول: إنه تاج العلوم، ومنهم من يقول: إنه زبدة العلوم. ذلك أن العلوم الأخرى تساعد أساسا على الأخلاق في الكشف عن النافع والضار، والخير والشر وهما موضوع الأخلاق، فتعتبر تلك العلوم وسائل معينة لتحقيق هذا العلم. كما أن علم الأخلاق يستخدم العلوم الأخرى في الكشف عن مهمته وتحقيق أهدافه.

2. إن السلوكيات الأخلاقية وآدابها هي التي تميز سلوك الانسان عن سلوك البهائم في تحقيق حاجاته الطبيعية، أو في علاقاته مع غيره من الكائنات الأخرى، في الآداب الأخلاقية في كل المعاملات وقضاء الحاجات الإنسانية زينة الانسان وحيلته الجميلة، وبقدر ما يتحلى بها الانسان يضفي على نفسه جمالا وبهاء، وقيمة إنسانية.

ولا شك أن السلوك الأخلاقي دليل على ما في نفس الانسان من خير، وصلاح أخلاقه دليل على صلاح سريرته والعكس صحيح، فسلوك الانسان موافق لما هو مستقر في نفسه من معان وصفات، يقول الامام الغزالي" فإن كل صفة تظهر في القلب يظهر أثرها على الجوارح لا تتحرك إلا على وفقها لامحالة.

3. إن هدف الأخلاق تحقيق السعادة في الحياة الفردية والجماعية. ذلك أن الحياة الأخلاقية هي الحياة الخير البعيدة عن الشرور بجميع أنواعها وصورها، فإذا انتشرت الأخلاق انتشر الخير والأمن والأمان الفردي والجماعي، فتنتشر الثقة المتبادلة والألفة والمحبة بين الناس وإذا غابت انتشرت الشرور وزادت العداوة والبغضاء، وتناصر الناس من أجل المناصب، والمادة والشهوات. فلابد من القيم الأخلاقية الضابطة لهذه النوازع وإلا كثرت الشرور التي هي سبب التعاسة والشقاء في حياة الأفراد والجماعات ولهذا قال أحد الأخلاقيين الفرنسيين: إن الحياة من غير قيم-وإن كانت حلوة على الشفاه- فإنها مرة على القلوب والنفوس.

4. إنها وسيلة لنجاح الانسان في الحياة: فالإنسان الشرير المعتدى على أموال الناس وأنفسهم وأعراضهم، لا يمكن أن يكون محبوبا بين الناس، فلا يثقون به، ولا يتعاملون معه، ثم إن الغشاش لابد أن ينكشف يوما من الأيام فيظهر غشه وخداعه إن عاجلا وإن آجلا. وقد قال الشاعر: ومهما يكن عند امرء من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم فإذا انكشف غشه وخداعه لا شك أنه معاقب بعدم التعامل معه إن كان تاجرا، أو بعزله من وظيفته إن كان موظفا وهكذا.

5. أنها وسيلة للنهوض بالأمة:" وذلك أن التاريخ يخبرنا أن سقوط الكثير من الأمم والحضارات كان بسبب انهيار الأخلاق كما قرر ذلك ابن خلدون وغيره.

وقد سئل أحد وزراء اليابان ما سر تقدم اليابان هذا التقدم؟ فقال الوزير:" السر يرجع إلى تربيتنا الأخلاقية..

ولهذا كان النهج السديد في اصلاح الناس وتقويم سلوكهم وتيسير سبل الحياة الطيبة لهم أن يبدأ المصلحون بإصلاح النفوس وتزكيتها وغرس معاني الأخلاق الجيدة فيها ولهذا أكد الإسلام على صلاح النفوس وبين أن تغير أحوال الناس من سعادة وشقاء، ويسر وعسر، ورخاء وضيق، وطمأنينة وقلق، وعز وذل كل ذلك ونحوه تبع لتغير ما بأنفسهم من معان وصفات "كالشّرب والشُّرب والصَّرم والصُّرم لكن خص الخَلْقُ بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخُص الخُلْقُ بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة. فقال تعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ(4) ﴾.

ومن خلال هذا العرض اللغوي يمكن ملاحظة ثلاثة أمور هي:

1. الخُلُق يدل على الصفات الطبيعية في خلقة الانسان الفطرية على هيئة مستقيمة متناسقة.

2. تدل الأخلاق على الصفات المكتسبة حتى أصبحت كأنها خلقت فيه فهي جزء من طبعه.

3. أن للأخلاق جانبين: جانب نفسي باطني، وجانب سلوكي ظاهري.

وأهمية الأخلاق بالنسبة للفرد

1. تساعد في بناء حياة الفرد وتشكيل شخصيته.

2. المعيار الذي تحكم تصرفات الانسان في حياته العامة وتضبط سلوكه وتوجيهه.

3. تمثل أحكاما معيارية في تقييم سلوك الفرد وسلوك الآخرين في بعض المواقف والتصرفات، وتحدد إذا كانت إيجابية ومرغوبة أو غير مرغوبة.

4. تعمل على وقاية الفرد من الانحراف.

5. تلعب دورا رئيسيا في حل الخلافات واتخاذ القرارات عند الأفراد.

وأهمية الأخلاق بالنسبة للمجتمع

1. تحفظ للمجتمع تماسكه، وتحدد له أهدافه ومثله العليا ومبادئه الثابتة.

2. تعمل كموجهات لسلوك الأفراد والجماعات، وتقي المجتمع من الانحرافات الاجتماعية، ولا يستقيم المجتمع بدونها.

3. يتحقق بها الانضباط للفرد والجماعة وتنظم العلاقات في ضوء الأخلاق المستمدة من الكتاب والسنة.

4. توجه كل نشاط إنساني نحو الأهداف السامية.

5. تلعب الأخلاق دورا بارزا في تحقيق التنمية للمجتمع.

6. تؤدي دورا مهما في العلاقات الإنسانية بين أبناء المجتمع وتبعد بهم عن العنف والصراعات.

2- الأخلاقيات المطلوبة في العامل

نقصد بأخلاق العمل: الأخلاق التي يجب توافرها في العامل، وفي صاحب العمل على حد سواء. وقيل أن نفصل في ذلك نقول:

إن الأصل في الإنسان المسلم أن يتمسك بالعقيدة الإسلامية التي تدعو إلى مكارم الأخلاق، وتنهى عن فسافسها، وبالتالي على المسلم ان يتعرف إلى الأخلاق الكريمة بشقيها الحسنة والقبيحة، ومع ذلك فإن ذلك العلم لا يكفي بل على الإنسان المسلم أن يسلك السلوك الأخلاقي في حياته كلها، ومنها أخلاق العمل.

والأخلاق الكريمة تدعو إليها الفطر السليمة، فالبشر كانوا ولا يزالون تعدّون الصدق والوفاء بالعهد والجود والشجاعة والصبر أخلاقا أصيلة يستحق صاحبها الثناء والتكريم، ولا يزالون يعدّون الكذب والغدر والجبن أخلاقا سيئة ترفضها العقول السليمة، وتذم صاحبها، والشريعة جاءت داعية إلى المعروف من الأخلاق، وتنهى عن المنكر منها.

ومما سبق يظهر أن الناس على اختلاف مللهم ونحلهم، واختلاف ألسنتهم وألوانهم يقسمون الأخلاق إلى كريمة وذميمة، يميلون إلى الكريمة بفطرهم السليمة، ويستقبحون الذميمة بعقولهم الصريحة التي لم تلوثها الملوثات الطارئة، فكيف إذا جاءت الشريعة الإسلامية تثبت الكريمة في الفطر المستقيمة، وتنهى عن الذميمة حتى لا يقع فيها أحد، وحذرت من الوقوع فيها أشد تحدير، ورتبت على ذلك الجزاء في الدنيا والآخرة، لمن اتبع ولمن امتنع.

يظهر لنا أن أساس الأخلاق المطلوب توافرها في العامل هما خلقان مرتبطان ببعضهما لا ينفكان هما: القوة والأمانة، وتكاد تندرج جميع أخلاق العمل-أو معظمها- تحت هذين الخلقين المهمين.

3 -الأخلاقيات المطلوبة في صاحب العمل

كما يطلب من العامل أن يكون متخلقا بأخلاق معينة كذلك الحل بالنسبة إلى رب العمل هو الآخر مطلوب فيه توافر أخلاق معينة وعليه واجبات يجب القيام بها حتى تستمر العلاقة علاقة إنسانية كريمة ومن تلك الأخلاق والواجبات ما يلي:

أ. أن يبين للعامل ماهية العمل المراد إنجازه مع بيان ما يتعلق بالمدة والأجر.

ب. أن لا يكلفه فوق طاقته

4-إرساء أخلاقيات العمل في المؤسسة

اتباع الأخلاق هو أمر يجب أن يحرص عليه كل شخص ولكن إدارة المؤسسة لن تعتمد على مدى التزام العاملين بأخلاقيات العمل بناء على قناعتهم الشخصية بل هي بحاجة لأن تلزمهم بذلك كجزء من متطلبات العمل. فإن عدم الالتزام بأخلاقيات العمل يؤثر على أداء المؤسسة وبالتالي فلا بد لها من الحرص على تطبيقها. لذلك فإنه من الضروري تحديد ما هو أخلاقي وما هو غير أخلاقي في عرف المؤسسة لكي يلتزم به الجميع. في غياب ذلك فإن كل موظف يكون له مقاييسه الشخصية والتي تختلف من شخص لآخر.

كذلك فإنه لابد من التعامل بحزم مع كل إخلال بهذه الأخلاقيات. لابد أن يتم التعامل مع الكذب في التقارير وفي البيانات وفي التعامل بكل حزم. لابد أن تُعامل روح العداء والإيذاء بين العاملين بالجزاء الرادع. لا يمكن ترك كل موظف يتصرف حسب ما اعتاد عليه فلا يمكن ترك الموظفين يتبادلون الألفاظ البذيئة أو يحيكون المؤامرات لبعضهم. لا يمكن أن يتم التعامل مع من لا يحترم أخلاقيات العمل بتهاون فهذا يجعل الجميع يسلك نفس المسلك. لا يمكن أن تقبل أن يكون العاملين لهم مصالح متداخلة مع مصلحة المؤسسة. لا يمكن أن تقبل أن تكون روح العداء هي منتشرة بين العاملين. لا يمكن أن تقبل أن يخدع موظفا عميلا أو موردا أو متقدم لوظيفة. لا يمكن أن تقبل إدارة المؤسسة أن يأخذ العاملين هدايا قيمة من الموردين أو العملاء. يجب أن يتم التعامل مع كل أمر يخص أخلاقيات العمل بكل شدة مهما كانت رتبة الشخص المخالف والحِرص على أخلاقيات العمل هو أمرٌ أخلاقي وديني وإداري. مع الأسف فإن اهمالنا لأخلاقيات العمل يجعل العاملين لا يتعاونون والشركات لا تثق في بعضها والكل يبدأ بسوء الظن ولا يمكننا الاستفادة من خبرات بعضنا.

5 -تراجع أخلاق العمل

مع يقيننا أن الشريعة الإسلامية كل لا يتجزأ، وأنها منهج ونظام حياة، إلا أن القارئ للتأريخ يجد أن هناك من سلك سلوكاً يتنافى وأخلاق العمل إما عمدا، وفي غفلة من إيمانه، ولم يلتزم التزاماً كاملاً بالمعاني الأخلاقية التي دعت إليها الشريعة الإسلامية، ولكنها لا تشكل ظاهرة، وليست هي نادرة، فذلك أمر يستحق الوقوف عنده، والكشف عن أسبابه، فما هي تلك الأسباب ياترى؟

لا شك أن حصر كل تلك الأسباب – في هذه العجالة – امر غير ممكن ولكن يمكن أن نجمل تلك الأسباب في الأمور التالية:

- التلوث العقدي

نعني بالتلوث العقدي عدم الالتزام بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، أو التخلي عن بعض مبادئها إن عمداً، وان جهلاً بسبب ما يطرأ من الانحراف بسبب الشبهات والشهوات، ووساوس الشيطان وإغراءاته ونحو ذلك.

ولا شك أن هذا التلوث العقدي يؤدى إلى تلوث الحياة إذ سلامتها تكمن في اتباع المنهج الأقوم الذي دعا الى التمسك بمبادئ الأخلاق، ومنها أخلاق العمل. ولا جدل أن كل مخالفة لأوامر الدين تعتبر مخالفة دينيه وأخلاقية في الوقت نفسه.

- التلوث الفكري:

لقد بينت العقيدة الإسلامية علاقة الإنسان بالكون، وبخالق الكون، وبالغاية التي من أجلها خلق الإنسان، فهذا التصور الشامل لمعنى الكون والحياة يكوّن فكراً نظيفاً خاليا من الملوثات الفكرية التي تخرج بالإنسان عن هدفه وغايته فيضر نفسه ويضر غيره.

ونزيد هذا المعنى وضوحاً فنقول: إن الله خلق الإنسان لعبادته بالمعنى الواسع للعبادة، وجعله من أفضل مخلوقاته، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض لينتفع به في حدود ما شرعه الله له، وصولاً لتلك الغاية ويسر له السبل للوصول إليها، وعليها فإن المال ما هو الا وسيلة للتحقيق تلك الغاية، فليس المال وجمعة غاية في حد ذاته.

فالإنسان إذا استحضر هذا " في ذهنه سيعرف مركزه الحقيقي في الدنيا وعلاقته بها وغايته في الحياة وبالتالي سيتقبل بنفس راضية جميع الضوابط والتنظيمات التي جاء بها الشرع الإسلامي..

فإذا تلوث هذا الفكر بأن كان المال غاية في حد ذاته كما نسمع اليوم حيث يقال : هذا العصر عصر المادة ، ونحو ذلك حتى كرّس بعض الناس حياتهم لجمع المادة فأصبحت مالكة لهم لا ماليكن لها ، فأصبح بعضهم عبيد للمادة كما قيل، عياذا بالله ، وبالتالي قد تختلف وسائل جمع المال من حلال وحرام ، ولاشك أن هذه انتكاسة فكرية ولا شك أن التلوث الفكري سببه غياب الفهم الصحيح والتصور الإسلامي للكون والحياة وفي ظل غياب هذا الفهم ، الذي يؤدى الى التلوث الفكري تتلوث الحياة بسبب السلوكيات الخاطئة ، والمعاملات السيئة ، وممارسة الاخلاق الفاسدة ، كالسرقة والغش والتزوير وأكل أموال الناس بالباطل، وتعطيل مصالحهم ونحو ذلك من الأعمال والأقوال والاخلاق التي منعها الإسلام.

- التلوث القيمي:

لا شك أن التلوث الفكري، والتلوث القيمي أحد أهم أسبابهما هو التلوث العقدي كما أن التلوث الفكري والقيمي يؤديان إلى التلوث العقدي فهي أمور متلازمة.

ومن المعلوم أن القيم الأخلاقية التي جاءت بها الشريعة الإسلامية ثابتة لا تتغير ولا تتبدل مادامت السماوات والأرض فالخير والشر، والحق والباطل ما يزال في مفهومه الأصيل منذ أنزل الله الكتب وأرسل الرسل، ولن يصبح الحق باطلاً والباطل حقاً ولن يغير الزمن في حركته وتطوره من ثبات القيم والأخلاق الإسلامية لأنها في مواجهة الفطرة التي لا تتغير.

ولكن هناك أفكاراً هدامة حاولت وتحاول عزو هذه القيم الإسلامية بتفريغها من مضامينها تارة، وبقلب معانيها تارة أخرى ساعيه جهدها الى تحطيم القيم الخلقية، وقد استجاب لها بعض قليلي الإيمان من المسلمين حتى سمعنا مقولات لا

تقبلها العقول السليمة، وتمجها الفطر المستقيمة فأصبحت الرشوة – عندهم – هدية، والنفاق مجاملة، وأكل الأموال العامة فطنة، وإيذاء الناس ونهرهم وتأخير مصالحهم قوة في الشخصية، وهكذا.

فهذا بلا شك قلب للحقائق، وانقلاب في المفاهيم والقيم الاخلاقية وهو بلا شك تلوث قيمي يؤدي إلى تلوث الحياة في جميع نواحيها.

6-أنماط السلوكيات والأخلاقيات في العمل

هنالك مجموعه من أنماط السلوكيات التي تكون موجودة في العمل منها السلبي والإيجابي وهي على النحو التالي:

1. نقل الإشاعات بين مجموعات العمل.
2. مشاركة الزملاء والتعاون معهم في إنجاز العمل.
3. الاتصال من خلال القنوات الرسمية.
4. الاعتراف بالخطأ في عمل ما لم يكن ليكتشف لولا اعترافك.
5. الاستفادة من إنجازات الآخرين.
6. الالتزام بمواعيد إنجاز المهام.
7. تقدير مشاعر الأفراد والجماعات.
8. ترك العمل ليوم غد لتقوم به.
9. التعامل مع التغيرات بإيجابية.
10. إرباك الآخرين بسبب ما تتخذه من إجراءات وأعمال .
11. دعم أفكار وآراء الآخرين الجديدة.
12. الحفاظ على أدوات وأجهزة العمل.
13. تنفيذ السياسة والإجراءات الوظيفية.
14. حل المشاكل المشتركة بين الآخرين.
15. إعطاء الامتيازات خاصة للأقران.
16. الحفاظ على المواثيق والأسرار.
17. الحفاظ على النظام حتى وإن شمل أصدقائك .
18. الحفاظ على جو وبيئة آمنة للعمل.
19. التقليل من المحسوبية والتعالي في محيط العمل.